تقديم

١ـ إن أول ما يتبادر إلى الذهن سؤال تقليدى: لماذا هذا الكتاب؟ . . .

والحقيقة أن فكرة هذا الكتاب ظلت تراودنى منذ فترة ليست بالقصيرة، وبخاصة أن كثيرين ممن يتابعون مشروع «حزب الوسط» الذى تشرفت بالتقدم لإجازته نيابة عن زملائى المؤسسين ثلاث مرات حتى كتابة هذه السطور، كانوا يسألون عن تأصيل للأفكار السياسية التى قدمناها فى مشروعات حزب «الوسط» الثلاثة: حزب الوسط عام ١٩٩٦م، وحزب الوسط المصرى عام ١٩٩٨م، وحزب الوسط الجديد عام ٢٠٠٤م، وقد كنت أرد عليهم بأننا كتبنا كتابات متفرقة هنا وهناك ـ سواء مقالات فى صحف ومجلات، أو دراسات قُدمت فى ندوات ولقاءات متخصصة ـ فيها رد على كثير من هذه التساؤلات، وكنت أعطيهم بعضَ هذه الدراسات والمقالات، فكانوا يقولون: ولمَ لا تجمع فى كتاب واحد لتكون معدة بشكل متكامل وميسر عن هذه «الرؤية» . . ؟». إلى أن ألح علىَّ أخ وصديق ومشارك معنا فى هذا المشروع بأن أصدرها فى كتاب واحد، فسعيت لجمع عدد من هذه الدراسات والمقالات التى يمكن أن تكون ذات علاقة مباشرة بفكرة ورؤية «الوسط»، وذلك فى الجانب السياسى والمجتمعى . . فيمكن إذن أن تكون إجابة للسؤال التقليدى: لماذا هذا الكتاب؟ فهى محاولة لتأصيل أفكار ورؤية حزب «الوسط» وشرح وإتمام لمشروعات البرنامج المتعددة فى النواحى المشار إليها.

٢ـ وأحب هنا أن أعرِّف القارئ الكريم لهذا الكتاب أن فكرة «الوسط» الحزب ـ التى أشرت إلى محاولاتها الثلاث أعوام ١٩٩٦، ١٩٩٨، ٢٠٠٤م ـ كانت بمثابة ترجمة لأفكار المفكرين الإسلاميين الجدد، الذين عبّروا عن المشروع الإسلامى الحضارى الحديث، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور محمد سليم العوّا، والأستاذ المستشار طارق البشرى، والأستاذ الكاتب فهمى هويدى، والأستاذ الدكتور محمد عمارة،

وآخرون، فلقد عبّر هؤلاء الأساتذة عن مشروع فكرى حضارى إسلامى، ولكن كان هناك سؤال دائم: أين يوجد هذا المشروع فى واقع الحياة؟ هل هناك بشر أو تجمع بشرى يحمل هذه الأفكار، أم أن هناك أفكارا للكتب فقط؟ فكانت تجربة حزب الوسط محاولة لترجمة هذا المشروع الفكرى الحضارى على أرض الواقع فى برنامج حزب سياسى مدنى له مؤسسون وأعضاء هم إضافة للتجارب الإسلامية الحديثة، بل إضافة نوعية لأنه لأول مرة فى العصر الحديث فى مصر يكون هناك برنامج حزب سياسى مدنى ذو مرجعية إسلامية يتخصص فى الفكر السياسى الإسلامى وليس حركة دعوية إصلاحية شاملة، لهذا ستجد عزيزى القارئ فى كثير من جنبات هذا الكتاب استشهادات بهؤلاء المفكرين الإسلاميين الذين سماهم الصديق الدكتور رفيق حبيب «رباعى المشروع الحضارى الإسلامى».

٣- كما تكمن أهمية هذا الكتاب فى كونه أشبه بالمذكرة التفسيرية لمشروع حزب «الوسط»، الذى يسعى بشكل عملى لمحاولة دمج الإسلاميين فى الحياة السياسية المصرية بشكل جاد وحقيقى، متجاوزاً خصاماً وصداماً استمر أكثر من نصف قرن بين فصائل الحركات الإسلامية والدولة المصرية فى عهودها الثلاثة تقريبًا، ولذلك فإن فكرة ورؤية «الوسط» هى فكرة متصالحة مع نفسها ومع الغير، وتريد أن تكون جزءاً من الحياة السياسية المصرية الحزبية، تقبل قواعد اللعبة الديموقراطية، وتقبل بشكل عام الالتزام بالدستور (وإن كان لنا عليه ملاحظات جوهرية)، كما تقبل القانون وقواعد التداول والتعددية والديموقراطية ودولة القانون... إلخ، ولذلك فهناك آراء فى هذا الكتاب تدعو لدمج جميع الإسلاميين فى الحياة السياسية المصرية والعربية.

٤- وتتمثل أهمية هذا الكتاب أيضًا فى أنه يشرح أن فكرة «الوسط» هى نموذج للإجابة عن الأسئلة المطروحة على الساحة المصرية والعربية والدولية، كذلك السؤال المتعلق بالمعايير السياسية المدنية مثل الديموقراطية، التعددية، دور المرأة، دور غير المسلم فى المجتمع المسلم... إلخ، كما قدم هذا المشروع نموذجًا للإجابة عن أسئلة تتعلق بالجانب السياسى والاقتصادى والاجتماعى بشكل مفصل، ولم يكتفِ بالشعارات العامة فقط.

٥ـ وفى ظل المناخ السياسى الحالى السائد فى الأوساط المصرية والعربية، فإن قضية الإصلاح السياسى مطروحة بقوة، ولهذا حاول هذا الكتاب فى أحد أبوابه أن يجيب عن تصور حزب «الوسط» لهذا الملف المهم.

٦ـ كما أن قضية الأقباط المسيحيين المصريين وكونهم جزءا مهمًا من النسيج المصرى والعربى، وكيف نظر إليهم هذا المشروع بوصفه مشروعًا سياسيًا إسلاميًا مدنيًا، فقد حاول أحد أبواب هذا الكتاب أيضًا أن يطرح تصوُّرا عن هذا، وكيف أصَّل مشروع الحزب لفكرة المواطنة من وجهة نظر فكرية إسلامية حديثة، اعتمد فيها على كتابات المفكرين الإسلاميين ـ وبخاصة المستشار طارق البشرى والدكتور محمد سليم العوَّا ـ وغطى فيها الجانب الفكرى والسياسى والوطنى.

٧ـ كما تطرق هذا الكتاب إلى موضوع حقوق الإنسان والحريات، وحاولنا أن نبين وجهة نظرنا فيها، وبخاصة أن هناك مشروعًا غربيًا مطروحًا بقوة فى هذه الناحية، وكأنه هو المرجعية، وكأن النظرة الإسلامية متهمة!.. فحاولنا أن نبين موقفنا من هذا الموضوع بالأفكار الإنسانية الصادقة دون صدام مُدَّعى، ودون قبول أيضًا بشططها فى بعض النواحى.. وشعارنا الدائم هو أن«الحكمة ضالة المؤمن».

٨ـ ثم ختمنا هذا الكتاب بموضوع عن الحركة الطلابية الإسلامية الحديثة فى السبعينيات التى ينتمى إليها عدد من مؤسسى هذا المشروع، الذين أفرزتهم كما أفرزت مجموعات أخرى سلكت العنف والتصادم. وفى هذا الموضوع أيضًا توضيح الموقف من ظاهرة العنف فى الواقع المصرى وكيفية علاجه، وكذلك ظاهرة التكفير وتحليلها.

٩ـ وأحب أن أنوّه فى خاتمة هذه المقدمة إلى أن أفكار هذه الدراسات والمقالات والأبحاث التى جُمعت فى هذا الكتاب لم تكن لتعبّر فقط عن كاتب هذه السطور، ولكنها أيضًا تعبّر عن مجموعة «الوسط» التى جرى بينها حوار عميق حول كل هذه الموضوعات.. بين بعضها وبعض، وبينها وبين الأساتذة المفكرين الإسلاميين الذين أشرت إليهم، وخصوصًا الأستاذين الكبيرين: المستشار طارق البشرى

والدكتور محمد سليم العوّا، فكانت هذه الكتابات خلاصة لتلك الحوارات والأفكار والكتابات التى أشرت إليها.

أسأل الله أن يوفقنا جميعًا للوصول إلى الغايات النبيلة التى سعينا لتحقيقها، بكون هذا المشروع إضافة مهمة لهذا الوطن الحبيب: مصر، وهذه الأمة الغالية: الأمة العربية.

أبو العلا ماضى

القاهرة، فى ٧ شوال ١٤٢٥هـ

الموافق، ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٤م

* * *